

كشف الشبهات

تأليف

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ

رحمه الله رحمة واسعة ورضي عنه

ومعه رسالة «نواة الإيمان» للعلامة

الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ

رحمهم الله وغفر لنا ولهم

بتصحيح وتعليق

محمد حامد الفقي

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

١٣٧٢هـ - ١٩٥٣هـ

دار الثقافة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدّمَة

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين ، وخير النبيين . محمد النبي الأمي الصادق ، الذي جاءنا من الله بالنور الواضح والكتاب المبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم .

أما بعد : فهذا الكتاب « كشف الشبهات » التي أوحاها الشيطان إلى أوليائه الغارقين في غمرات الغفلات ، وأخرجهم بها من النور الساطع إلى دياجير الظلمات . وروجوها على العامة باسم الاسلام فحجبت عن قلوبهم شمس الآيات البينات ، وجرهم الشيطان بحبل إغوائه في ظلمات التقليد الأعمى إلى أقبح الشرك وأشنع الوثنيات ، فاتخذوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، بل أشد ، زاعمين – إفكا وبهتاناً – أن فيهم شيئاً لله » من خصائص صفاته . لأنهم النور الأول الذي انبثق من الله ، فجعلهم الشيطان في قلوب الجماهير والعامة أبناء الله يتصرفون في ملكه بما يشاءون . سبحان الله عما يقولون واتخذوا الدين هزوا ولعبا . فعبدوا الله بشر البدع والخرافات ،

سمحت بطبعه إدارة المطبوعات بمكة المكرمة
برقم ٢٧٦/٢/م وتاريخ ٢٦/٢/١٤١٣ هـ

الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

توزيع
مكتبة الثقافة
مكة المكرمة / ت : ٥٤٢٩٠٤٩
الطائف / ت : ٧٣٢٣٤٤٩
ص . ب : ٥٨١٥

الناشر
دار الثقافة للطباعة
مكة المكرمة - هاتف : ٥٤٢٥١٩٢
فاكس ٥٤٥٠٠٧٧ / ص.ب ٥٨١٥

السعـادة بغـرس « نواة الإيـمان في قلبـه . وقـد تفضـل شيخنا العلامة الشيـخ عبـد الله بن حسن آل الشيـخ رئيس القضـاة في الدولة العربية السعودية ، أدام الله توفيقنا وتوفيقه والنفع به . وأدام على هذه الدولة التوفيق والتسديد والحكمة والرشاد . ومد في حياة عاهلها ، رافع لواء الدين ، وناصر الحق بالحق ، القوي في الله وبالله . المفوض أمره إلى الله : جلالة الملك الإمام عبد العزيز آل سعود ، أدام الله نصره وتأييده وأقر عينه وعيون العرب بأصحاب السمو أشباله الكرام .

وقـد عنيت بمـراجعة كشف الشبهات على عدة نسخ مقروءة على المشايخ من آل الشيخ ، وعلقت عليه تعليقاً على قدر ما وهبني الله من العلم القليـل والـذهن الكليـل . وإني لأنصح لكل عاقل أن يشدَّ يده على هاتـين الـرسـالتـين ، ويعض عليهـما بالتـواجذ . فإنهما كالمفتاح لصرح التوحيد ، الذي أنزل الله من أجله كتبه وأرسل رسله ، بل ما خلق الإنس والجن إلا لمعـرفتـه والإيمان به وتحقيقه . وفقنا الله جميعاً لما يحبه ويرضاه . وهدانا صراطه المستقيم . وصلى الله وسلم وبارك على محمـد خاتم الأنبيـاء وخـير المرسلين . وعلى آله الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين .

وكتبه الفقير إلى عفو الله ومغفرته : محمد حامد الفقي

من الـزمـر والـرقص والغنـاء المخنث . وحكّمـوا الطـاغـوت في كل الحادثات . وطال عليهم فيها الأمد ، فقست قلوبهم وفسقوا عن سنن الله وفطـرتـه ، وكفروا بخير كتاب أنزله مكون الكائنات وولوا مدبرين عن دعـوة سيـد المرسلين أفضـل أهـل الأرض والسموات ، وأصدق الصـادقـين وأهدى الهداه ، ونفضوا أيديهم من حبل الله المتين وعروته الـوثقى . فنـزلت عليهم من المنتقم الجبـار أشـد العقوبات ، ضاقت عليهم الأرض بما رحبت واستحـوذ عليهم أعـداؤ هم من كل النواحي والجهات .

فقـام شيـخ الاسلام ، الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ، حين أنـار الله بصـيرتـه ، وكشف عن قلبـه ما ران على قلوبهم من هذه الغشاوات ، ودعاهم إلى الصراط المستقيم . فرموه – كشأن أسلافهم من أعـداء الـرسـل – بأشنـع المفتريات ، لكنه صبر وصابر ، فكانت العاقبة له ولمن أيده ونصره ، وأزهق الله بحقه باطل ورثة عبد الطاغوت والعـزي والـلات ، وتبـوأ التـوحيـد الخـالص في أنحـاء الجزيرة أعلى الدرجات .

وهـذه رسـالتـه « كشف الشبهات » إحدى شُهبة الثواقب التي كان يقـذف بها شيـاطـين الـوثنيـة ، فتقطـع أسبـابهم ، وتمزق أوصالهم ، وتـذهب بها ريـاح الحق إلى أسحق المستنقعات ، وتلقى هناك ما هي حقيقة به من اللعنات في أسفل الدركات .

ولتـمام الفـائـدة قد ضممت إليه رسالة للعلامة المحقق الشيخ عبد اللطيف ابن الشيـخ عبـد الـرحمن بن حسن بن الشيـخ محمـد بن عبد الـوهـاب . وهي رسالة قيمة جداً ، نافعة أعظم النفع لمن يريد الله له

هذا التقرب والاعتقاد محض حقٍّ الله ، لا يصلح منه شيء ، لا لملك مقرب ، ولا لنبي مرسلٍ ، فضلاً عن غيرهما .

وإلاَّ فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده ، لا شريك له ، وأنه لا يرزقُ إلا هو ، ولا يحيى إلا هو ، ولا يميت إلا هو ولا يدبِّر الأمر إلا هو ، وأن جميع السموات ومن فيهن ، والأرض ومن فيها : كلهم عبيده ، وتحت تصرفه وقهره .

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون لله هذه الشهادة : فاقرأ قوله تعالى ﴿١٠ : ٣١[1] قل من يرزقكم من السماء والأرض ؟ أمَّنْ يملك السمعَ والأبصارَ ؟ ومن يخرجُ الحيَّ من الميتِ ، ويخرجُ الميتَ من الحيِّ ؟ ومن يدبِّرُ الأمر ؟ فسيقولون : الله . فقل : أفلا تتقون ؟ ﴾ وقوله ﴿ ٢٣ : ٨٤ - ٨٩ قل لمنِ الأرض ومن فيها ، إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون : لله . قل : أفلا تذكرون ؟ قل : من ربُّ السمواتِ السبع وربُّ العرش العظيم أفلا تذكرون ؟ قل : من ربُّ السمواتِ السبع وربُّ العرش العظيم؟ سيقولون لله ، قل أفلا تتقون ؟ قل : من بيدهِ ملكوتُ كلِّ شيء ، فأنَّى تُسحرون ؟ ﴾وغير ذلك من الآيات .

إذا تحققت أنهم مقرون بهذا ، وأنه لم يُدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ ؛ وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه : هو توحيد العبادة ، الذي يسميه المشركون في زماننا « الاعتقاد » كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً . ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل

---

(١) يلاحظ في ترقيم الآيات :
أن الرقم الأول يعني رقم السورة والرقم الثاني يعني رقم الآية

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين

اعلم رحمك الله أن « التوحيدَ » هو إفرادُ الله بالعبادةِ ، وهو دينُ الرسل الذين أرسلهُم الله به إلى عبادهِ . فأوَّلُهُم نوحٌ عليه السلام أرسله الله إلى قومه ، لَمَّا غَلوْا في الصالحينَ : وداً وسواعاً ويغوثَ ويعوقَ ونسراً .[1]

وآخرُ الرسل : محمد ﷺ ، وهو الذي كسرَ صورَ هؤلاء الصالحين أرسله الله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون . ويذكرون الله ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله . يقولون : نريد منهم التقرب إلى الله . ونريد شفاعتهم عنده ، مثل الملائكة وعيسى ومريم . وأناس غيرهم من الصالحين .

فبعث الله محمداً ﷺ يجددُ لهم دين أبيهم إبراهيم ، ويخبرهم أن

---

(١) روى البخاري في صحيحه في تفسير سورة نوح عن ابن عباس : « صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما « ود » فكانت لكلب بدومة الجندل . وأما « سواع » فكانت لهذيل . وأما « يغوث » فكانت لمراد ، ثم لبنى غطيف بالجرف ، عند سبأ . وأما « يعوق » فكانت لهمدان . وأما « نسر » فكانت لحمير لآل ذي الكلاع : أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحي الشيطان إلى قومهم : « أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت » وقال ابن كثير في التفسير : وكذا روى عن عكرمة . والضحاك . وقتادة وابن اسحاق . وروى ابن جرير عن محمد بن قيس « أنهم كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس ، فقال : إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر ، فعبدوهم » .

ـ أن جهـال الكفـار يعـرفون ذلك ، فالعجب ممن يدعى وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة بـل يظـن أن ذلك : هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعـاني . والحـاذق منهم : يظن أن معناها : لا يخلق ولا يرزق إلا الله ، فلا خير في رجلٍ جهالُ الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله .

إذا عرفت ما ذكـرتُ لك معـرفـة قلب . وعرفت الشرك بالله الذي قال فيـه : ﴿٤ : ٤٨ **إن الله لا يغفـر أن يشـرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشـــاء**﴾ وعـرفت دين الله الـذي أرسـل به الـرسـل من أولهم إلى آخـرهم ، الـذي لا يقبل الله من أحد سواه . وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا ، أفادك فائدتين : -

الأولى : الفرح بفضل الله ورحمته ، كما قال تعالى ﴿١٠ : ٥٨ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون**﴾ .

وأفـادك أيضـاً الخـوف العظيم . فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل ، فلا يعذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى ، كما كان يفعل الكفار ، خصـــوصـــاً إن ألهـمــك الله ماقص عن قوم موسـى ، مع صلاحهم وعلمهم : أنهم أتـوه قائلين ﴿٧ : ١٣٨ **إجعـل لنـا إلهاً كما لهم آلهة**﴾ فحينئذ يعظم حرصك وخوفك على ما يخلصك من هذا وأمثاله .

واعلم أن الله سبحـانـه من حكمته : لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء[1] كما قال تعالى : ﴿٦ : ١١٢ **وكذلك جعلنا لكل نبي**

---

(١) ذلك ليميز الله الخبيث من الطيب ، وليعظم أجر الأنبياء وورثتهم بالجهاد ولكـن مـا عنـد أوليـاء الشيطـان ليس إلا ظنـون لا تغني من الحق شيئـاً ، وأوهام =

صلاحهم وقربهم إلى الله ليشفعوا له ، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات ، أو نبياً مثل عيسى ، وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ، ودعاهم إلى إخلاص العبادة ، كما قال تعالى ﴿٧٢ : ١٨ فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ وقال ﴿١٣ : ١٤ له دعوةُ الحقِّ والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾ وتحققت أن رسول الله ﷺ إنما قاتلهم ليكون الدعاء كله لله ، والذبح كله لله . والاستغاثة كلها بالله . وجميع العبادات كلها لله . وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام ، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء ، يريدون شفاعتهم ، والتقرب إلى الله بذلك : هو الذي أحل دماءهم وأموالهم عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، وأبى عن الإقرار به المشركون .

وهذا التوحيد هو معنى قولك « لا إله إلا الله » فإن «الإله» عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور ، سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً ، أو شجرة أو قبراً أو جنياً . لم يريدوا أن «الإله» هو الخالق الرازق المدبر فإنهم يعلمون : أن ذلك لله وحده ، كما قدمت لك . وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ «السيد» فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » .

والمراد من هذه الكلمة : معناها ، لا مجرد لفظها . والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة : هو إفراد الله تعالى بالتعلق ، والكفر بما يعبد من دون الله ، والبراءة منه . فإنه لما قال لهم : «قولوا : لا إله إلا الله» قالوا : ﴿٣٨ : ٥ أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا لشيء عُجاب !﴾

تعـالى ﴿ ٣٧ : ١٧٣ وإن جنـدنـا لهم الغـالبـون ﴾فجنـد الله هم الغـالبـون بالحجة واللسان . كما هم الغالبون بالسيف والسنان ، وإنما الخـوف على الموحـد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح [١] . وقد من الله تعـالى علينـا بكتـابه الذي جعله ﴿١٦ : ٨٩ تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها ، كما قال تعالى ﴿ ٢٥ : ٣٣ ولا يأتـونـك بمثـل إلا جئنـاك بالحق وأحسن تفسيراً [٢]﴾ قال بعض المفسرين : هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة . وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا . فأقول :

جواب أهل الباطل من طريقين : مجمل . ومفصل . أما المجمل : فهو الأمر العظيم ، والفائدة الكبيرة لمن عقلها . وذلك قوله تعالى ﴿٣ : ٧ هو الـذي أنـزل عليـك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أم الكتاب وأخـر متشـابهـات . فأمـا الـذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » مثال ذلك : إذا قال لك بعض المشركين ﴿١٠ : ٦٢ ألا إن أولياء الله

---

(١) إنـما الخـوف على المقلد الـذي دينه وراثة عن آبائه . أما الذي يقطف ثمار التوحيد من سنن الله الكونية وأسمائه وصفاته وكتبه ورسله فهو الغالب إن شاء الله

(٢) قال أبـو حيـان في تفسيـره البحـر : ولا يأتـونـك بشبهة في إبطال أمرك إلا جئناك بالحق الذي يدحض شبهة أهل الجهل ، ويبطل كلام أهل الزيغ .

عدواً شياطين الإنس والجن ، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة ، وكتب وحجج ، كما قال تعـالى : ﴿ ٤٠ : ٨٣ **فلما جاءتهم رسلهم بالبينـات فرحـوا بما عندهم من العلم** ﴾ .

إذا عرفت ذلـك ، وعـرفت أن الطـريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعـدين عليـه ، أهـلُ فصـاحة وعلم وحجج ، فالواجب عليك : أن تعلم من دين الله ما يصـير لك سلاحـاً تقـاتـل به هؤلاء الشياطين ، الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل ﴿ ٧ : ١٦ ، ١٧ **لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيـمانهـم وعـن شمائـلهم** ﴾ولكن إذا أقبلت على الله ، وأصغيت إلى حججه وبيناته . فلا تخف ﴿٤ : ٧٥ **إن كيد الشيطان كان ضعيفاً** ﴾ والعـامي من المـوحـدين يغلب ألفـاً من علماء هؤلاء المشـركين . قال

= وخـرافـات لا تثبت أمـام الحق ﴿٢١ : ١٨ **بل نقـذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق** ﴾وإنما تروج هذه الظنون عند من غلبهم الشيطان بالجهل ، وكبل عقولهم بأغلال التقليد الأعمي للآباء والشيوخ الذين قال الله عنهم ﴿٧ : ١٧٩ **لهم قلوب لا يفقهـون بها ولهم أعـين لا يبصـرون بها ولهم آذان لا يسمعـون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الغافلون** ﴾ .

أمـا الـذين كسـروا عن عقـولهم هذه الأغـلال ، وعـرفـوا نعمـة الله عليهـم في سمعهم وأبصـارهم وعقـولهم ، ونعمـة الله عليهم في كتـابه ورسله ، وقدروا هذه النعم قدرها ، وشكروها حق شكرها ، متفكرين في آيات الله فإنهم لا يقبلون في دينهم إلا ما قام عليه الدليل الصادق من قول الله وقول رسوله ، فلا تروج عندهم أوهام الدجالين ، وظنون المفترين على الله الكذب .

فإن قال هؤلاء الآيـات نزلت فيمن يعبـد الأصنام . كيف تجعلون الصـالحـين أصناماً ؟ فجاوبه بما تقدم . فإنه إذا أقرّأن الكفار يشهدون بالـربـوبيـة كلهـا لله ، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة ، ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره . فاذكر له أن الكفار منهم من يدعـو الصـالحـين والأصنـام . ومنهم من يدعـو الأولياء الذين قال الله فيهم ﴿ ١٧ : ٥٧ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ويدعون عيسى ابن مريم وأمه . وقد قال الله تعالى﴿٥ : ٧٨ ما المسيح ابن مريم إلا رسـول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانـا يأكـلان الطعـام ، أنظـر كيف نبـين لهم الآيـات ، ثم أنظـر أنى يؤفكون ﴾ واذكر قوله تعالى ﴿٣٤ : ٤٠ ، ٤١ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة : أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك ! أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ .

فقـل له : أعـرفت أن الله كَفَّـر من قصد الأصنام ، وكفر أيضاً من قصد الصالحين ، وقاتلهم رسول الله ﷺ ؟ .

فإن قال : الكفار يريدون منهم ، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر ، لا أريد إلا منه ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم .

فالجواب : أن هذا قول الكفار سواء بسواء ؛ فاقرأ عليه قوله تعالى ﴿٣٩ : ٣ ما نعبـدهم إلا ليقـربـونا إلى الله زلفى﴾ ﴿١٠ : ١٨ هؤلاء شفعـاؤنـا عنـد الله ﴾. واعلـم أن هذه الشبـه الثـلاث : هي أكـبر ما عندهـم .

لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾وإن الشفاعة حق ، وإن الأنبياء لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطلهم ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره .

فجاوبه بقولك : إن الله ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ، ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن الله ذكر : أن المشركين يقرون بالربوبية ، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم ﴿١٠ : ١٨ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾هذا أمر محكم بيِّن ، لا يقدر أحد أن يغير معناه ، وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه ، ولكن أقطع : أن الله لا يتناقض وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ، وهذا جواب سديد ، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله . فلا تستهونه ، فإنه كما قال تعالى : ﴿ ٤١ : ٣٥ وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾.

وأما الجواب المفصل : فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة يصدون به الناس .

منها قولهم : نحن لا نشرك بالله ، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً عن عبد القادر أو غيره . ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله . وأطلب من الله بهم .

فجاوبه بما تقدم ، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت ، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً . وإنما أرادوا الجاه والشفاعة . واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ، ووضحه .

الـذي يدبـر الأمـرَ ، ولكن دعـوهم والتجئـوا إليهم للجاه والشفاعة ، وهذا ظاهر جداً .

فإن قال : أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ ، وتبرأ منها ؟ .

فقـل : لا أنكـرهـا : ولا أتـبرأ منها ، بل هو ﷺ الشافع المشفع ، وأرجـو شفـاعته ، لكن الشفاعة لله كلها ، كما قال تعالى ﴿٣٩ : ٤٤ قل لله الشفـاعـة جميعـاً ﴾ولا تكـون إلا من بعـد إذن الله ، كما قال عز وجل ﴿٢ : ٢٥٥ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ؟﴾ ولا يشفع في أحـد إلا من بعـد أن يأذنـه الله فيـه ، كما قال عز وجل﴿٢١ : ٣٨ ولا يشفعـون إلا لمن ارتضى ﴾ وهـو لا يرضى إلا التـوحيـد . كما قال تعالى﴿٣ : ٨٥ ومن يبتغ غيرَ الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾فإذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا نكون إلا من بعد إذنه ، ولا يشفع النبي ﷺ ، ولا غيره في أحد ، حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد ، تبـين أن الشفـاعـة كلهـا لله ، أطلبهـا منه . فأقول : اللهم لا تحرمني شفاعتـه ﷺ . اللـهم شَـفِّعْه فِيَّ ، وأمثـال هـذا .

فإن قال : النبي ﷺ أُعطى الشفاعة ، وأنا أطلب منه مما أعطاه الله . فالجواب : أن الله أعطاه الشفاعة ، ونهاك عن هذا . وقال ﴿٧٢ : ١٨ فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾.

وأيضـاً فإن الشفـاعـة أعطيهـا غير النبي ﷺ . فصـح أن الملائكة يشفعـون ، والأوليـاء يشفعـون . أنقـول : إن الله أعطـاهم الشفاعة وأطلبها منهم ؟ .

فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه : أنها الشرك الذي لا يغفره . وإن قلت : لا . بطل قولك : أعطاه الله

فإذا عرفت أن الله وضحها في كتابه ، وفهمتها فهماً جيداً ، فما بعدها أيسر منها . فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله ، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة .

فقل له : أنت تقرُّ أن الله فرض عليك إخلاص العبادة ، وهو حقه عليك ؟ فإذا قال : نعم فقل له : بَيِّن لي هذا الذي فرض عليك ، وهو إخلاص العبادة لله وحده ، وهو حقه عليك . فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها .

فبينها له بقولك : قال الله تعالى ﴿٧ : ٥٥ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ﴾

إذا عملت بهذا . فقل له : هل هو عبادة ؟ فلابد أن يقول : نعم والدعاء مخ العبادة .

فقل له : إذا أقررت أنها عبادة ، ودعوت الله ليلاً ونهاراً ، خوفاً وطمعاً ، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره ، هل أشركت في عبادة الله غيره ؟ إذ قال الله ﴿فصلِّ لربك وانحر﴾ وأطعت الله ونحرت له ، فلا بد أن يقول : نعم .

فقل له : إذا نحرت لمخلوق : نبي أو جني ، أو غيرهما . هل أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقر ، ويقول : نعم .

وقل له أيضاً : المشركون الذين نزل فيهم القرآن : هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول : نعم .

فقل له : وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك ، وإلا فهم مقرون أنهم عبيد الله تحت قهره ، وأن الله هو

وسـر المسألـة : أنـه إذا قال : أنـا لا أشـرك بالله ، فقل : وما الشرك بالله؟ فسِّـره لي . فإن قال : هو عبـادة الأصنام . فقل : وما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي . فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله وحده . فقل له : ما معنى عبـادة الله وحـده؟ فسـرهـا لي . فإن فسَّـرها بما بينه القرآن ، فهو المطلوب . وإن لم يعـرفـه ، فكيف يدعى شيئـاً وهـو لا يعرفه؟ وإن فسر لك بغـير معنـاه : بينتَ به الآيـات الواضحات في معنى الشرك بالله ؛ وعبادة الأوثان ، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه ، وأن عبادة الله وحـده لا شريـك له : هي التي ينكـرونها علينا ، ويصيحون علينا ، كما صاح إخـوانهم حيث قالـوا ﴿٣٨ : ٦ أجَعل الآلهة إلهاً وَاحداً؟ إن هذا لشيء عجاب﴾[1] .

---

(١) لقـد كان مشـركو قريش وغيرهم يحلفون بالله ما هم بمشركين وأن الشرك إنما كان في غيرهم من الماضين الذين كفروا بإبراهيم والأنبياء قبله ، كما في سورة الأنعام (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين) وكانوا إذا قرئت عليهم الآيات التي تبين الشرك في نفسه قالوا (هذه أساطير الأولين) مثل ما يقول النـاس اليـوم . ولقـد كانـوا يسمون آلهتهم أولياء . كما كرر الله حكاية ذلك عنهم مراراً . ولم يذكـر عنهم ـ ولا مرة واحـدة ـ أنهم قالـوا : إنهـا أصنـام . وإنما ذكرها عن قوم إبراهيم . وفي غير سورة من القرآن﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ﴾ في أكثر من عشرين موضعاً . وكم قرر لهم : أنهم عباد أمثالهم وأنهم أموات غير أحياء ، وأنهم لا يخلقون شيئاً ، بل هم يخلقون ، وأنهم سيكونون لهم يوم القيامة أعداء يكفرون بشركهم ويبرءون من عبـادتهم لهم ، وأنهم كانـوا عن هذه العبـادة غافلين بما هم فيـه من شأن القـبر . وعلى العموم فالمهم المطلوب أن تتدبر القرآن وتؤمن أن الله يكلم الناس به كل وقت بما هم فيهم من شرك وتوحيد وكفر وإيمان .

الشفاعة ، وأنا أطلب منه مما أعطاه الله .

فإن قال : أنـا لا أشـرك بالله شيئـاً ، حاشَ وَكلاّ ، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك . فقل له : إذا كنت تُقرُّ أن الله حرم الشرك أعظم من الزنا ؛ وتقرُّ أن الله لا يغفره ، فما هذا الأمر الذي عظمه الله وذكر أنه لا يغفره ؟ فإنه لا يدري .

فقل له : كيف تُبرِّىء نفسك من الشرك ، وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يحرم الله عليـك هذا . ويـذكـر أنـه لا يغفره ، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا؟؟ .

فإن قال : الشرك عبادة الأصنام ، ونحن لا نعبد الأصنام .

فقل : وما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم كانوا يعتقدون أن تلك الأخشـاب والأحجـار تخلق وترزق ، وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن ، أو هو : قصدُ أثر عبد صالح : خشبة أو حجر ، أو بِنْية أو غيرها يدعـون ذلـك الصـالح عندها ويذبحون له ، ويقولون : إنه يقربنا إلى الله زُلْفَى ؛ ويـدفـع عنـا ببركتـه ؛ فقد صدقت ، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايات التي على القبور وغيرها .

فهذا قد أقرَّ : أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام .

ويقال أيضاً : قولك « الشرك عبادة الأصنام» هل مرادك أن الشرك مخصـوص بهذا ، وأن الاعتـماد على الصالحين ودعاءهم : لا يدخل في هذا؟ فهـذا يرده ماذكـر الله في كتـابه : من كُفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين .

فلابـد أن يقـرَّ لك : أن من أشـرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن . وهذا هو المطلوب .

والأمر الثاني : أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله ، إما نبيــاً وإمــا وليــاً ، وإمــا ملائكة . ويدعون أشجاراً وأحجاراً مطيعة لله ، ليست عاصية[1] . وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس ، والـذين يدعــونهم : هم الذين يحكمون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة ، وغير ذلك ، والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي - مثــل الخشب والحجـر - أهــون ممن يعتقــد فيمن يشــاهــد بنفسه فسقه وفساده ، ويشهد به[2]

= والتحكم في الله بما يشــاءون ، وأن مجلس أوليــائهم برئــاسة الميت الفلاني والميتة الفلانية : هو الــذي يدبــر الأمــور ويصــرفها . وغير ذلك من العقائد الوثنية البشعة التي لم تكن عند كفــار قريش ، بل كانــوا أقــل وقــاحــة وفجــوراً من مشــركي الصــوفية في هذه الأزمنة التي اشتــدت فيهــا غربــة الإسلام . حتى بلغ الأمر بالمنتسبين إلى العلم : أن يكفروا ويحاربوا كل داع إلى توحيــد عبــادة الله وإخــلاص الــدين له ، كما جاء به رســول الله ﷺ فطــوبى للغرباء الذين يصلحون عنه فساد الناس ويصلحون ما أفسد الناس . اللهم اجعلنا منهم

(١) أي خاضعــة لسنــة الله الكــونيــة . كما قال﴿ ولله يسجــد من في السماوات ومن في الأرض ﴾وقال﴿ وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً ﴾ وليست متمردة على الله تمرد هؤلاء الكــافــرين الــذين ما خلقهم الله إلا لعبــادته وحده ، فاستكبروا على الله وآيــاتــه . وفسقــوا عن أمــره وشــرعــه ، واتخذوا من دونه آلهة يحبونهم كحب الله وما عبدت الأشجــار والأحجــار لنفسهــا . وإنــما عبدت لأنها آثار أنبياء وصالحين . ولذلك قطع عمر رضي الله عنه شجرة بيعة الرضوان . حين رأى الناس يتحرون مجيئها والصلاة عندها .

(٢) في طبقات الشعراني : من كرامات سيده علي وحيش : أنه كان يفعل الفاحشة بالحمير على باب السوق .

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في وقتنا هذا «الاعتقاد» هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل وقتنا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء أوثاناً مع الله إلا في الرخاء. وأما في الشدة: فيخلصون لله الدين. كما قال تعالى ﴿١٧ : ٦٧ وإذا مَسَّكُم الضرُّ في البحر ضل من تدعون إلا إياه، فلما نجاكم إلى البرِّ أعرَضتم، وكان الإنسانُ كَفوراً﴾ وقوله ﴿٦ : ٤٠ قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة، أغيرَ الله تدعونَ إن كنتم صادقينَ؟ بل إياه تدعون، فيكشف ما تدعون إليه إن شاء، وتنسون ما تشركون﴾ وقوله ﴿٣٩ : ٨ وإذا مسَّ الإنسان ضرٌ دعا ربه منيباً إليه، ثم إذا خوَّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل، وجعل لله أنداداً ليُضِلَّ عن سبيله، قل تمتَّع بكفرك قليلا. إنك من أصحاب النار﴾ وقوله ﴿٣١ : ٣٢ وإذا غشيهم موج كالظُّلَل دَعَوُا الله مخلصين له الدين﴾

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله، ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضر والشدة: فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم: تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً؟ والله المستعان(١)

---

(١) بل شرك الناس اليوم أفظع وأشنع، لأنهم اعتقدوا في أوليائهم الموتى: أنهم يدبرون الكون ويتصرفون في قبضة وبسطه ورفعه وخفضه، والعزل والتولية، والقهر =

من آمن ببعض وكفر ببعض، فهو الكافر حقاً، وأنه يستحق ما ذكر[1] زالت هذه الشبهة: وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الإحساء في كتابه الذي أرسل إلينا.

ويقال: إذا كنت تُقرُّ أن من صدق الرسول في كل شيء وجحد وجوب الصلاة: إنه كافر حلال الدم بالإجماع. وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان لا تجحد هذا، ولا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن. كما قدمنا. فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج. فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر؟ ولو عمل بكل ما جاء به الرسول، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل؟

ويقال أيضاً: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون ويؤذنون.

---

(١) في قوله سبحانه ﴿٢ : ٨٥ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾ وكان ذلك في رد بني إسرائيل بعض أحكام التوراة في الأسر والفداء والقتال. وأنه الله قد أقسم على كفر من لم يرض بحكم الرسول في بعض المال ولم يكن في عبادة الله والإيمان به فكيف إذاً كان في أصل الأصول والأساس الذي يقوم عليه كل شيء، وهو إخلاص العبادة لله؟

إذا تحققت أن الـذين قاتلهم رسـول الله ﷺ أصـح عقولا ، وأخف شركاً من هؤلاء . فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ماذكرنا . وهي من أعظم شبههم . فاصغ سمعك لجوابها

وهي أنهم يقولون : إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن «لا إله إلا الله» ويكذبون الرسول ، وينكرون البعث ، ويكذبون القرآن ، ويجعلونه سحراً ، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ونصدق القرآن . ونؤمن بالبعث . ونصلي ونصوم . فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

فالجـواب : أنـه لا خلاف بين العلماء كلهم : أن الـرجل إذا صدق رسـول الله ﷺ في شيء ، وكـذبـه في شيء : أنـه كافـر ، لم يدخـل في الإسـلام ، وكـذلـك إذا آمن ببعض القـرآن وجحد ببعضه ، كمن أقر بالتـوحيـد وجحـد وجـوب الصـلاة . أو أقـر بالتوحيد والصلاة وجحد الـزكـاة . أو أقـر بهذا كله وجحد الحج ، ولمَّا لم ينقدْ أناس في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم ﴿٣ : ٩٧ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع ، وحل دمه وماله . كما قال جل جلاله ﴿٤ : ١٥٠ ، ١٥١ إنَّ الـذين يَكفـرون بالله ورسُولـه ويـريدونَ أن يفـرقـوا بين الله ورسله ، ويقـولـون : نؤمن ببعض ونكفـر ببعض ، ويـر يـدون أن يتخـذوا بين ذلـك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقاً ، وأعتـدنـا للكـافرين عذاباً مهيناً﴾ فإذا كان الله قد صرح في كتابه : أن

والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفِّر ؟

ويقال أيضاً : بنو عُبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس [1] ، كلهم يشهدون بألسنتهم : أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويدعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة ، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم ، وأن بلادهم بلاد حرب . وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين .

ويقال أيضاً : إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول . والقرآن . وإنكار البعث . وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب « باب حكم المرتد » وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ؟ وقد ذكروا أنواعاً كثيرة . كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله ، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها ، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه ، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب .

---

(١) هم المسمون كذباً وزوراً بالفاطميين . كانت أول دولتهم : ببلاد المغرب ، ثم ملكوا مصر في سنة ٣٥٨ هـ وأعلنوا على منابرها ومآذنها بلعن الصحابة ورمي الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها بالأفك تكذيباً لله الذي أنزل براءتها فيما يتلو الناس في محاربهم من كلام الله الحق المبين . ثم دعوا الناس إلى عبادتهم وعبادة آبائهم من دون الله . وقال فيهم العلماء : ظاهر دينهم الرفض ، ولكن حقيقته الكفر المحض . وهم - لعنهم الله ولعن كل من يواليهم ويعظمهم ، ويتبع طريق غيهم - أول من أقام القباب والمقاصير والمساجد على القبور واحتفل بأعياد الموتى . وجرى الضالون على سنتهم اللعينة في ذلك قبحهم الله وأخزاهم .

فإن قال: إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي[1].

قلنا: هذا هو المطلوب إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان ويوسف، أو صحابياً أو نبياً إلى مرتبة جبار السموات والأرض؟ سبحان الله! ما أعظم شأنه ﴿٣٠ : ٥٩ كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾

ويقال أيضاً: الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار كلهم يدعون الإسلام. وهم من أصحاب علي، وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما[2].

فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أم تظنون الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر،

---

(١) والمشركون اليوم رفعوا رؤساءهم فوق رتبة رسول الله ﷺ إذ قدموا طاعتهم في شركهم وضلالهم على طاعة الرسول في الهدى والإيمان، وإذا قلت لأحدهم: قال الله، وقال رسوله. قال لك في غيظ وحنق: قال الشعراني والشاذلي قال ابن عربي وأمثالهم من الطواغيت التي قدموا حكمها وطاعتها، وقدموا وحيها الشيطاني على وحي الله لأفضل خلقه وأكرم رسله ﷺ فلا فرق والله بينهم وبين مسيلمة وغيره من الدجالين الكذابين، إلا أن مسيلمة لم يكن في وقاحتهم وفجورهم. فالجامعة بينهم واحدة، وهي الكذب على الله ورسوله. ورد الناس إلى الكفر. والأسماء لا تغير الحقائق. والكل يحسد رسول الله، ويحاول انتزاع التعظيم الذي له في قلوب المسلمين إلى هؤلاء الطواغيت. وقد نجحوا في قلوب أكثر العامة والطغام، لأنهم مقلدون عمي البصائر لا يعقلون. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) من الطواغيت التي كانت تعبد في نجد قديماً.

يقولون : إن بني إسرائيل لم يكفروا ، وكذلك الذين قالوا « اجعل لنا ذات أنواط » لم يكفروا .

فالجواب أن نقول : إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك ، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ . ولا خلاف في أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا . وهذا هو المطلوب .

ولكن هذه القصة تفيد : أن المسلم - بل العالم - قد يقع في أنواع من الشرك وهو لا يدري عنها . فتفيد لزوم التعلم والتحرز ، ومعرفة أن قول الجاهل « التوحيد فهمناه » أن هذا أكبر الجهل ومكايد الشيطان .

وتفيد أيضاً : أن المسلم إذا تكلم بكلام كفر ، وهو لا يدري ، فنبه على ذلك فتاب من ساعته : أنه لا يكفر ، كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ .

وتفيد أيضاً : أنه لو لم يكفر . فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل رسول الله ﷺ .

وللمشركين شبهة أخرى ، يقولون : إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال «لا إله إلا الله» وقال له «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟» وكذلك قوله «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»

= الله . اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة إنكم قوم تجهلون . لتركبن سنن من كان قبلكم» .

ويقال أيضاً : الذين قال الله فيهم ﴿٩ : ٧٤ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ﴾أما سمعت : أن الله كفرهم بكلمة ، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ يجاهدون معه ويصلون معه ، ويزكون ويحجون ويوحدون ؟ وكذلك الذين قال الله فيهم ﴿٩ ، ٦٥ ، ٦٦ قل : أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾فهؤلاء الذين صرح الله : أنهم كفروا بعد إيمانهم كانوا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك . قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح .

فتأمل هذه الشبهة ، وهي قولهم : تكفرون المسلمين ، تكفرون أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون . ثم تأمل جوابها. فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق .

ومن الدليل على ذلك أيضاً : ما حكى الله عن بني إسرائيل - مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم - أنهم قالوا لموسى ﴿٧ : ١٣٨ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ وقول ناس من الصحابة «اجعل لنا ذات أنواط»(١) فحلف ﷺ «أن هذا نظير قول بني إسرائيل (إجعل لنا إلهاً) .

ولكن للمشركين شبهة يُدْلون بها عند هذه القصة ، وهي أنهم

---

(١) الأنواط جمع نوط مصدر سمى به المنوط : أي المعلق عليه ، وهي شجرة كان أهل الجاهلية يتبركون بها ويعلقون عليها سلاحهم ، لتكون بزعمهم أقطع وأمضى عند لقاء العدو . وقد روى الإمام أحمد والترمذي - وصححه - عن أبي واقد الليثي قال « خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ، ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها . ذات أنواط ، فمررنا بسدرة . فقلنا : يا رسول =

قال : لا إلـه إلا الله ؟ » وهـو الـذي قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقـولـوا لا إلـه إلا الله » وهـو الـذي قال في الخـوارج « أينـما لقيتموهم فاقتلوهم ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسبيحاً ، حتى إن الصحابة ليحقرون أنفسهم عندهم والخـوارج تعلمـوا العلم من الصحـابة ، فلم تنفعهم « لا إله إلا الله » ولا كثرة العبادة ، ولا إدعاء الإسلام ، لما ظهر منهم من مخالفة الشريعة وكـذلـك ما ذكـرنـاه من قتـال اليهـود ، وقتال الصحابة لبني حنيفة ، وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل منهم « أنهم منعوا الزكاة » حتى أنزل الله ﴿ ٤٩ : ٦ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾وكان الرجل كاذباً عليهم .

وكـل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ من الأحـاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه .

ولهم شبهة أخرى ، وهي ما ذكر النبي ﷺ « أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ، ثم بنوح ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى . فكلهم يعتذر ، حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ » .

قالوا : فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً .

والجـواب أن نقـول : سبحـان من طبـع على قلوب أعـدائه ! فإن الاستغـاثـة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ينكرها ، كما قال تعالى في قصة موسى ﴿٢٨ : ١٥ فاستغـاثـه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ وكـما يستغيث الإنسـان بأصحـابـه في الحـرب أو غيرها في أشياء يقدر عليهـا المخلوق ، ونحن أنكـرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء ، أو في غيبتهم ، في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله .

وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها .

ومراد هؤلاء الجهلة : أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ، ولو فعل ما فعل .

فيقال لهؤلاء الجهلة : معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون « لا إله إلا الله » وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويصلون ويدعون الإسلام ، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار . وهؤلاء الجهلة يقولون : إن من أنكر البعث : كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله ، وإن من جحد شيئاً من أركان الإسلام ، كفر وقتل ، ولو قالها . فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع ، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه ؟ ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث ، ولن يفهموا .

فأما حديث أسامة : فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله . والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه ، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك ، وأنزل الله تعالى في ذلك ﴿٤ : ٩٤ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾ أي تثبتوا . فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت ، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام : قتل لقوله تعالى ﴿فتبينوا﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى .

وكذلك الأحاديث الأخر وأمثالها ، معناها ما ذكرناه . وأن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه ، إلا أن يتبين منه ما يناقض ذلك

والدليل على هذا : أن رسول الله ﷺ هو الذي قال « أقتلته بعد ما

فنقول : لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً .

فإن عرف التوحيد ولم يعمل به ، فهو كافر معاند ، ككفر فرعون وإبليس ، وهذا يغلط فيه كثير من الناس ، يقولون : إن هذا حق ونحن نفهم هذا ؛ ونشهد أنه الحق ، ولكنا لا نقدر أن نفعله ، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا أن نوافقهم ، أو غير ذلك من الأعذار .

ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار ، كما قال تعالى ﴿٩ : ١٠ **اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً** ﴾ وغير ذلك من الآيات ، كقوله﴿ ٢ : ١٤٦ **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾ .

فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً ، وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه ، فهو منافق . وهو شر من الكافر الخالص ﴿٤ : ١٤٥ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار** ﴾ وهذه المسألة مسألة طويلة تتبين لك إذا تأملتها على ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به ، لخوف نقص دنيا أو جاه ، أو مداراة لأحد . وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً . ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله .

أولاهما : قوله تعالى ﴿٩ : ٦٦ **لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ فإذا تحققت أن بعض الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح ، تبين لك : أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفاً من نقص مال أو جاه ، أو مداراة لأحد : أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها .

إذا ثبت ذلك : فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم : أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف وهذا جائز في الدنيا والآخرة ، وذلك أن تأتي لرجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك ؛ تقول له : ادع الله لي ؛ كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه في حياته وأما بعد موته : فحاش وكلا أنهم سألوا ذلك . بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره ﷺ ، فكيف بدعائه نفسه ، بأبي هو وأمي ؟ .

ولهم شبهة أخرى ، وهي قصة إبراهيم لما أُلقي في النار : اعترض له جبريل في الهواء ، فقال له : ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم : أما إليك فلا ، قالوا : فلو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرضها جبريل على إبراهيم .

فالجواب : أن هذا من جنس الشبهة الأولى ، فإن جبريل عرض عليه : أن ينفعه بأمر يقدر عليه ، فإنه كما قال الله فيه ﴿٥٣ : ٥ شديد القوى﴾ فلو أذن له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره الله أن يغيب إبراهيم عنهم في مكان بعيد لفعل ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً ، فيعرض عليه أن يقرضه أو يهبه شيئاً يقضي به حاجته ، فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ ، ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا مِنة فيه لأحد ، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك ، لو كانوا يفقهون ؟ .

ولنختم الكلام بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم ، لكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ، ولكثرة الغلط فيها .

نواة الإيمان

للإمام العلامة المحقق

الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ

رحمهم الله وغفر لنا ولهم

والآية الثانية : قوله تعالى﴿ ١٦ : ١٠٦ ، ١٠٧ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان . ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم . ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة - الآية ﴾ فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان ، وأما غير هذا : فقد كفر بعد إيمانه سواء فعل ذلك خوفاً أو مداراة. أو مَشَحَّة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله أو فعله على وجه المزح ، أو لغير ذلك من الأغراض ، إلا المكرَه

فالآية تدل على هذا من وجهين :

الأول : قوله﴿ إلا من أكره ﴾ فلم يستثن الله تعالى إلا المكره . ومعلوم : أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل ، وأما عقيدة القلب : فلا يكره عليها أحد .

والثاني : قوله تعالى ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا ﴾ فصرح بأن الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض للدين ومحبة الكفر ، وإنما سببه : أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا . فآثره على الدين .

والله سبحانه وتعالى أعلم ، وأعز وأكرم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



الحمـد لله رب العـالمـين . الـرحمن الـرحيم . مالـك يوم الدين . وصلى الله وسلم وبـارك على خاتم الأنبيـاء وصفـوة المرسلين . محمد وعلى آله الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين .

قال الشيـخ العـلامة الموفق ، الصالح التقي المدقق : عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام وعلم الأعلام ناشر السنـة ، وقـامـع البـدعة بالسيوف والأسنة والأقلام : الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله رحمة واسعة . وجعلهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وجعلنا معهم برحمته وفضله :

إعلم - رحمـك الله - أن الله تعـالى خلق الخلق لعبـادته ، الجامعة لمعـرفتـه ومحبتـه ، والخضوع له وتعظيمه ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، وإسلام الوجه له .

وهذا هو الإيمان المطلق ، المأمور به في جميع الكتب السماوية وسائر الرسالات النبوية .

ويـدخـل في باب معرفة الله : توحيد الأسماء والصفات ، فيوصف الله سبحانه بما وصف به نفسه من صفات الكمال ، ونعوت الجلال ، وبما وصفه به رسوله ﷺ ، ولا يتجاوز العبد ذلك ولا يوصف الله إلا بما ثبت في الكتاب والسنة .

وجميع مافي الكتاب والسنة : يجب الإيمان به ، من غير تحريف ولا

الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغني الحميد . إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز ﴾ .

ويدخل في الإيمان : إيمان العبد بتوحيد الإلهية ، الذي تضمنته شهادة الإخلاص ﴿ لا إله إلا الله ﴾فقد تضمنت نفي استحقاق العبادة بجميع أنواعها عما سواه سبحانه وتعالى ، من كل مخلوق ومربوب . وأثبتت ذلك على وجه الكمال الواجب والمستحب لله تعالى فلا شريك له في فرد من أفراد العبادة، إذ هو الإله الحق المستقل بالربوبية والملك والعز ، والغنى والبقاء . وما سواه فقير ومربوب ومعبد خاضع له ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً . فعبادة أحد سواه تعالى أظلم الظلم ، وأسفه السفه . والقرآن كله راد على من هدم توحيد الإلهية والعبادة ، فأشرك مع الله غيره ، في أي نوع من هذه العبادة ، مبطل لمذهب جميع أهل الشرك والتنديد ، آمراً وحاضا ومرغبا في إسلام الوجه لله وحده ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، والتبتل له في عبادته .

ولفظ «العبادة» في أصل اللغة : لمطلق الذل والخضوع . ومنه طريق معبد ، إذا كان مذللاً ، قد وطّأته الأقدام ، كما قال الشاعر :

تبارى عتاق الناجيات ، وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مُورٍ معبد[1]

واستعملة الشارع في العبادة : الجامعة لكمال المحبة وكمال الذل

---

(١) الوظيف خف البعير ، وهو كالحافر للفرس . والمور : الطريق المعبد في الجبل ، سمى بذلك لأنه يضطرب فيه جيئة وذهاباً

تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل . قال الله تعالى ﴿ ٢٠ : ٨ **الله لا إلـه إلا هو ، له الأسماء الحسنى** ﴾ فأسماؤه كلها حسنى ، لأنها تدل على الكمال المطلق ، والجلال المطلق ، والصفات الجميلة .

فنثبت ما أثبته الرب لنفسه ، وما أثبته له رسوله ، ولا نعطله ، ولا نلحد في أسمائه ولا آياته ، ولا نشبه صفات الخالق بصفات المخلوق ﴿ ٤٢ : ١١ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ ﴿ **قل هو الله أحد الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ ﴿ ٢٠ : ١١٠ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً**) .

فإن تعطيل الصفات عما دلت عليه : كفر ، والتشبيه فيها كذلك كفر . وقد سأل رجل مالك بن أنس رحمه الله ، عن ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ فاشتد ذلك على مالك ، حتى عَلَتْه الرُّحَضاء إجلالاً لله وهيبة له من الخوض في ذلك ، ثم قال « الاستواء معلوم ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب . والسؤال عنه بدعة » يريد رحمه الله : السؤال عن الكيف .

وهذا الجواب : يقال في جميع الصفات ، لأنه يجمع الاثبات والتنزيه .

ويدخل في الإيمان بالله ومعرفته : الإيمان بربوبيته العامة الشاملة لجميع الخلق والتكوين ، وقيوميته العامة الشاملة لجميع التدبير والتسخير والتمكين ، فالمخلوقات بأسرها مفتقرة إلى الله في قيامها وبقائها ، وحركاتها وسكناتها ، وأرزاقها وأفعالها ، كما هي مفتقرة إليه في خلقها وإنشائها وإبداعها . قال تعالى ﴿ ٣٥ : ٧٦ ، ٨٧ يا أيها

يهدي به من يشاء من عباده . ولو أشركوا حبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ .

والشـرك : قد عرفـه النبي ﷺ بتعريف جامع ، كما في حديث ابن مسعود : أنه قال « يا رسول الله ، أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك » والند : المثل والشبيه[1] .

فمن صرف شيئـاً من العبـادات القـولية أو الاعتقادية . أو المالية أو العملية - لغير الله : فقد أشرك شركاً يبطل به التوحيد وينافيه ، لأنه شبـه المخلوق بالخـالق ، فأحبـه كحبـه ، وعظمـه كتعظيمـه ، وخافه كخـوفـه . ولهـذا كان الشرك أكبر الكبائر على الإطلاق ، وكان محبطاً لكـل عمـل ، وكان محرماً الجنة على صاحبه ، والشرك فيه أسوأ الظن بالله . كما قال الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿٣٧ : ٨٥ - ٨٧ ماذا تعبـدون ؟ أئفكـا آلهـة دون الله تريدون ؟ فما ظنكم برب العالمين ؟ ﴾ .

قال العــلامـة ابن القيم رحمـه الله : أي فما ظنكم أن يجازيكم إذا لقيتمـوه وقـد عبـدتم غيره . وماذا ظنكم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص ؟ حتى أحوجكم ذلك إلى العبودية لغيره ، فلو ظننتم به ما هو أهله : من أنـه بكـل شيء عليم ، وعلى كل شيء قديـر ، وأنه الغني

---

(١) وليس بلازم أن يكـون مثيـلاً وشبيهـاً في كل الصفات والخصائص ، بل يكفي أن يجعـل له بعض الصفـات والخصـائص ، فيكون بها نداً . وقد جعل الله من أحب متبوعه ومعتقده حب تعظيم وتقديس وخوف ، كحب المؤمن لله متخذاً من دونه نداً ، ومن تأمل حال متخـذي الأوليـاء أنـداداً من دون الله ، تبـين له : أنهم أعطـوهم من صفات الحياة والسمع والبصر والقدرة والرحمة والغنى وغيرها ما هو من أخص خصائص الرب سبحانه

والخضـوع ، وأوجب الاخـلاص لله فيها ، كما قال تعالى ﴿٣٩ : ٢ ، ٣ **إنـا أنـزلنـا إليك الكتاب بالحق ، فاعبد الله مخلصاً له الدين . ألا لله الـدين الخـالص** ﴾ وهـذا هو التـوحيـد الـذي جاءت به كل الرسل ، ونزلت به جميع الكتب[1]

والعبادة إذا خالطها الشرك أفسدها وأبطلها . ولا تسمى عبادة إلا مع التـوحيـد الخـالص . قال ابن عبـاس « ما جاء في القرآن من الأمر بعبادة الله إنما يراد به التوحيد » اهـ

ويـدخـل في العبـادة الشـرعيـة : كل ما شرعـه الله ورضيـه : من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة : من محبة الله ، وتعظيمه وإجلاله ، وطـاعتـه والتوكل عليه ، والإنابة إليه ، ودعائه خوفاً وطمعاً ، وسؤاله رغبـاً ورهبـاً وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، والوفاء بالعهود ، وصلة الأرحام ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمملوك والمسكين وابن السبيل وكـذا النحر والنذر ، فإنهما من أجّل العبادات ، وأفضل الطاعات . وكـذا الطـواف ببيتـه تعـالى ، وحلق الرأس نُسُكاً ، تعظيماً وعبودية . وكذا سائر الواجبات والمستحبات .

فحق الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً .

والشرك في العبادة : ينافي هذا التوحيد . ويبطله . فإن الله تعالى فا ذكـر خواص أوليـائـه ومقـربي رسله قال﴿ ٦ : ٨٨ **ذلـك هدى الله**

---

(١) يشير إلى أن ما اشتهر عند المتسبين إلى العلم : من كتب الكلام التي يذكرون فيهـا : العشـرين صفـة وأضدادها ، وتطويل الخوض في ذلك ، وما تفنن فيه أهل الجدل والكلام ، ليس هو توحيد الرسل الذي بعثهم الله به . فافهم وتدبر أرشدني الله وإياك .

ونعيمه : إنما هو في إفراد الله بهذه العبادة ، والإنابة إليه بما شرعه لعباده منها .

وأصلها : كمال المحبة ، وكمال الذل والخضوع ، كما تقدم . هذا سر العبادة وروحها ، ولا بد في عبادة الله من كمال المحبة مع كمال الخضوع .

فأحب خلق الله إلى الله ، وأقربهم منزلة عنده : من قام بهذه المحبة والعبودية ، وأثنى على ربه سبحانه بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلا فمن أجل ذلك : كان الشرك أبغض الأشياء إلى الله ، لأنه ينقض هذه المحبة والخضوع والإنابة والتعظيم ، ويجعل ذلك شركة بين الله وبين من أشرك به من الأنبياء أو الأولياء ، أو الملائكة أو الأشجار والأحجار . ولذلك لا يغفره الله أبداً لمن أصر عليه حتى مات ، لأنه يتضمن سب الله وتنقصه بالتسوية بينه وبين من اتخذ معه شريكاً في المحبة والتعظيم [1] وغير ذلك من أنواع العبادة . قال الله تعالى ﴿٢ : ١٦٥ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً ، يحبونهم كحب الله . والذين آمنوا أشد حباً لله** ﴾ أخبر سبحانه : أن من أحب أحداً أو شيئاً دون الله حباً من جنس الحب الواجب لله - وهو الحب مع الذل والخضوع - فقد اتخذه نداً لله .

---

(١) ويستلزم ولا بد : اعتقاد أن هؤلاء الأنبياء والأولياء أبناء الله لأنهم - بزعم الصوفية - النور الذي انبثق وتولد من ذات ربهم . ولذلك فإن الله يقرر في آيات السور المكية التشنيع على الشرك والمشركين : التشنيع على من زعم لله ولداً . فتنبه لذلك جيداً تعرفه .

عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه ، وأنه قائم بالقسط على خلقه ، وأنه المنفرد بتدبير خلقه ، لا يشركه فيه غيره . وأنه العالم بتفاصيل الأمور ، فلا تخفى عليه خافيةٌ من خلقه ، وأنه الكافي لهم وحده ، لا يحتاج إلى معين ، وأنه الرحمن بذاته . فلا يحتاج في رحمته إلى من يستعطفه . وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤ ساء فإنهم محتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم ، ومحتاجون إلى من يعينهم على قضاء حوائجهم ، وإلى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة. فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورة . لحاجتهم وعجزهم وضعفهم ، وقصور علمهم . فأما القادر على كل شيء ، الغني بذاته عن كل شيء ، العالم بكل شيء . الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء : فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه : تنقص بحق ربوبيته وإلهيته وتوحيده ، وظن به ظنَّ السوء . وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده ويمتنع في العقول والفطر . وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبح . انتهى [1] .

إذا عرفت هذا : فصلاح العبد وفلاحه . وسعادته ونجاته وسروره

---

(١) خصوصاً إذا عرف أن أساس اتخاذ الموتى وسائط : هو إعتقاد أنهم النور الذي انبثق من الله ، وأن أول خلق الله : الحقيقة المحمدية ، كما يعتقد ذلك كل الصوفية الذين هم الواضعون للوثنية وعبادة الموتى باسم الوسائط . فإنهم يقولون : إن ذات ربهم كالنواة ، وأن العالم خرج كله من هذه النواة ، كالنخلة وكل شجر . فالخلق مظاهرات لذات آلهتهم . وهذا هو أساس اتخاذ الأولياء وسائط من دون الله .

والنوع الثاني : محبة رحمة وإشفاق ، كمحبة الوالد لولده ونحوها . وهذه أيضاً لا تستلزم التعظيم .

والنوع الثالث : محبة أنس وإلف ، وهي محبة المشركين في صناعة أوعلم . أومرافقة أوتجارة أوسفر : بعضهم لبعض ، وكمحبة الإخوة بعضهم لبعض فهذه المحبة التي تصلح للخلق بعضهم من بعض ، ووجودها فيهم لا يكون شركا في محبة الله سبحانه . ولهذا كان الرسول ﷺ يحب الحلو والعسل . وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد ، وكان أحب اللحم إليه الذراع ، وكان يحب نساءه ، وكانت عائشة أحبهن إليه . وكان يحب أصحابه ، وأحبهم إليه الصديق رضي الله عنهم .

وأما المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله وحده ، والتي إن أحب العبد بها غيره كان شركا لا يغفره الله : فهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم ، وكمال الطاعة ، وإيثار رضا المحبوب على رضا غيره فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلا . وهي التي سَوَّى المشركين فيها بين آلهتهم وبين الله . وهي أول دعوة الرسل ، وآخر كلام العبد المؤمن الذي إذا مات عليه دخل الجنة : اعترافه وإقراره بهذه المحبة وإفراد الرب بها . فهي أول ما يدخل بها في الإسلام ، وآخر ما يخرج به المؤمن من الدنيا إلى الله ؟ وجميع الأعمال كالأدوات والآلات لها ، وجميع المقامات وسائل إليها ، وأسباب لتحصيلها وتكميلها وتحصينها من الشوائب والعلل . فهي قطب رحي السعادة ، وهي روح الإيمان ، وساق شجرة الإسلام ، ولأجلها خلق الإنس والجن ، ولأجلها أنزل الكتاب والحديد . فالكتاب هاد إليها ، ودال عليها ومفصل لها ، والحديد : لمن خرج عنها وأشرك مع الله غيره فيها

وهذا معنى قول المشركين لمعبوديهم يوم القيامة﴿ ٢٦ : ٩٧ ، ٩٨ تالله إن كنا في ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين ﴾ فهذه تسوية في المحبة والتاليه ، لا في الذات والأفعال والصفات[1] .

والآيات قبلها تدل على ذلك ، إذ يقول الله﴿ ٢٦ : ٩٤ - ١٠٢ فكُبكبوا فيها هم والغاوون . وجنود إبليس أجمعون . قالوا - وهم فيها يختصمون - تالله إن كنا لفي ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين . وما أضلنا إلا المجرمون . فما لنا من شافعين . ولا صديق حميم ، فلو أن لنا كَرَّة ؟ فنكون من المؤمنين ﴾ كما حكي عنهم في سورة البقرة أيضاً﴿ ٢ : ١٦٣ إذ تبرأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتَّبَعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذي اتَّبعوا : لو أن لنا كرة ؟ فتبرأ منهم كما تبرؤا منا . كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار ﴾ .

فمن صرف ذلك لغير الله الإله الحق : فقد أعرض عنه ، وأبق عن مالكه وسيده فاستحق مقته وغضبه . وطرده عن دار كرامته ، ومنازل أحبابه .

والمحبة ثلاثة أنواع : محبة طبيعية ، كمحبة الجائع للطعام ، والظمآن للماء . وغير ذلك . وهذه لا تستلزم التعظيم .

---

(١) وهي تسوية أيضاً في الطاعة والتوقير ، إذ كانوا قد شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله . فقدموا شرعهم الباطل على شرع الله الحق ، وأسلموا إليهم قلوبهم وأعمالهم ، مثل ما يسلم المؤمنون ذوو الألباب قلوبهم ووجوههم لله ولرسوله ولكتابه . وعقيدة فيض النور الأول : هي التي ولدت التسوية في العبادة والإلهية . والله أعلم .

بالنواجذ ، ويقبض فيه على الجمر ، ولا يؤخذ بأطراف الأنامل ، ولا يطلب على فضله، بل يجعل هو المطلب الأعظم، وما سواه إنما يطلب على الفضلة.

والله المسئول أن يمن علينا بتحقيق ذلك علماً واعتقاداً وعملاً وحالا ونعوذ بالله أن يكون حظنا من ذلك مجرد حكايته.

وصلى الله وسلم وبـارك على عبـده ورسـولـه ، وصفوته من خلقه وأمينه على وحيه محمد النبي الأمي ، وعلى آله الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه . واجعلنا منهم بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين .

ولأجلهـا خلقت الجنـة والنـار، فالجنـة دار أهلهـا الذين أخلصوها لله وحــده ، فأخلصهم لها . والنــار دار من أشــرك فيهـا مع الله غيره ، وسوى بينه وبين الله فيها .

فالقيـام بها علماً ، واعتقـاداً وعملاً وحالاً وتصحيحاً : هو تصحيح شهادة أن لا إله إلا الله .

فحقيق بمن نصـح نفسـه وأحبهـا ، وأحب سعـادتها ونجاتها : أن يتيقـظ لهذه المسألـة أشـد التيقـظ ، وتكون أهم الأشياء عنده ، وأجل علومـه وأعـمالـه . فإن الشأن كله فيها . والمدار كله عليها . والسؤ ال عنها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم كل السلامة من أي علة ومرض من أمراض حب غير الله ، وتقديم طاعته ومرضاته على طاعته سبحانه ومرضاته .

قال تعـالى ﴿ ١٥ : ٩١ ، ٩٣ فوربـك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ قال غير واحد من السلف : هو السؤ ال عن قول « لا إله إلا الله » وهذا حق . فإن السؤ ال كله عنها وعن أحكامها وحقوقها .

قال أبو العالية : كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟

فالسؤ ال عن « ماذا كانــوا يعبــدون » هو السؤ ال عنهـا نفسهـا . والسؤ ال عن «ماذا أجابوا المرسلين» هو السؤ ال عن الوسيلة والطريق المؤدية إلى تحقيقها ، هل سلكوها وأجابوا الرسل لما دعوهم إليها ، أم لا ؟ فعاد الأمر كله إليها .

وأمـرٌ هذا شأنـه : حقيق بأن تُثْنَى عليـه الخنـاصـر ، ويعض عليه


دار الثقافة للطباعة
DAR ALTHAQAFA PRINTING PRESS
مكة المكرمة / الزاهر / هاتف ٥٤٢٥١٩٢ / ٥٤٤٨٥٤٦